

## القسم الرابع

مأساة جميلة

1 - مسرحية من الشعر الحر

للشاعر: عبد الرحمن الشرقاوي



## الأشخاص حسب الظهور

مصطفى بوحريد :	تاجر
أحمد المصري :	صاحب مقهى
عمار :	كيميائي شاعر
أمينة :	طالبة
هند :	خطيبة عمار
جان :	شاويش فرنسي
جاسر :	قائد منطقة الجزائر - عامل
هارون :	شاب عاطل
جميلة :	طالبة - بنت شقيق مصطفى بوحريد
بيير :	ضابط فرنسي في غرفة المظلات
فريثز :	ضابط ألماني في الليف الأجنبي
عمار :	ضابط في شرطة الجزائر
سرحان :	شقيق جميلة
سيمون :	راقصة فرنسية - صاحبة مرقص

أم أمينة - شقيقها الصغير - مواطنون جزائريون - صحافي فرنسي - صحافي أمريكي - طيب السجن - مأمور السجن - طالبات جزائريات - جنود وضباط فرنسيون ومن الليف الأجنبي - أطفال جزائريون - مستوطنون فرنسيون - محام فرنسي - محام جزائري - قضاة فرنسيون - ممثل الاتهام.

زمن المسرحية : الربيع والصيف من سنة 1956.

مكان المسرحية : مدينة الجزائر.



## الفصل الأول

### المنظر الأول

(شارع في حي القصبة بمدينة الجزائر.. الشارع يبدو متدرجًا كالسلاالم ملتويًا : مليئًا بالدروب الجانبية.. في أقصى المسرح - في الصدر - يبدو المدخل.. حيث تظهر في الأفق أبراج قلعة برباروسة: السجى الرئيسي الكبير.. في الشارع دكان مغلق.. وبيوت لم تفتح أبوابها بعد.. وفي مقدمة المسرح يبدو من على اليمين جزء من "مقهى أحمد المصري" .. باب المقهى مغلق أيضًا.. إذ نحن ما نزال ننتقل أول شعاع من الفجر.. الشعاع يملأ المسرح رويدًا رويدًا.. في الشارع.. على باب المقهى.. يقف رجل شبه ملثم في ثياب وطنية وهو يقرع الباب المغلق.. الرجل هو: "مصطفى بوحريد" .. كهل في نحو الخمسين).

مصطفى : يا أحمد، افتح يا أحمد

(يفتح الباب)

أحمد : "في فتحة الباب" بوحريد، أعدت من الجبل؟

أسليم أنت؟ لقد كنا قلقين عليك!

مصطفى : أكلّ الشعبة مجتمعة؟

أحمد : إلا جاسر؛ فلديه ميعاد آخر في لجنة مسؤولي الجبهة

مصطفى : في اللجنة؟

أحمد : من أجل الإضراب فغداً إضراب. أنسيت؟

واللجنة تجتمع الآن لتُنظّم هذا الإضراب.

ادخل... ادخل

(يدفع أحمد المصري حائط المقهى.. فإذا هو حائط سري يفتح كله كالستار عن حجرة سرية ضيقة كأنها منحوتة في الصخر.. وفيها عمار وهند وأمينة.. يكملون حديثهم حول مائدة تحت شعاع مصباح يرسل ضوءاً خافتاً.. الجو يرسم طابع اجتماع سري. لا يتجهون لدخول مصطفى أول الأمر.. إذ إن مناقشة حادة تدور بينهم)

عمار : " في انفعال " هل يحكم عالمنا هذا ميثاق الأمم المتحدة

أم أن المدفع يحكمه والطلقة تبطش بالكلمه ؟!

أمينة : لا تحلم يا عمار بعدل يمنحه الأقوى بعدد؟

عمار : " مستمراً " خطفوا الزعماء الخمسة !.. يا للعار!

أحمد : يا عمار

هند : " بألم " أجل ، خطفوا الخمسه

أحمد : فليكنم كل فتى يأسه

لن يفرض قانون الإنسان سوانا نحن ، متى فزنا

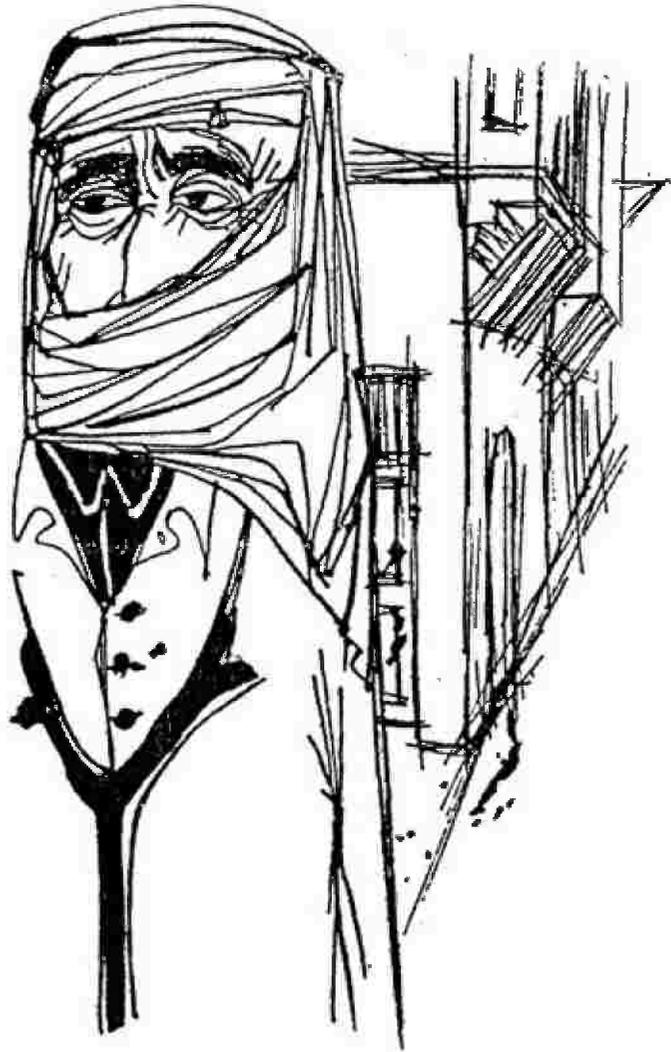
عمار : لكنهم قبضوا اليوم على ألف... ألف منا

أمينة : فستبنت بعدهم الآلاف

عمار : وليس لدينا أسلحه

أمينة : فلننزعها من أيديهم

مصطفى : عمار!.. أهزتكَ الضربه؟



عمار : بوحرید؟ أعدت؟

أمینة : صباح الخیر..

هند : متى عدت؟

عمار : كيف الإخوان علی الجبل؟

مصطفى : الكل هناك ، شعارهم : سترد الضربة ضعفين

مازلنا نملك أن نحيا

هند : مازلنا نملك أن نصرب

أحمد : (لهند مشيراً إلى عمار) قولي لخطيبك كي يهدأ

عمار : من أول أمس مذ خطفوا بن بيللا والزعماء معه

والناس تراهم في الشارع كالمسحورين! الشعب يدمره الخوف!

أحمد : (مقاطعاً) وما يدريك؟ أنت الشعب؟

أمینة : أنت الخائف ، لا الشعب!

هند : (بغضب) أمينه!

أحمد : ماذا تعرف يا عمار عن الشارع؟

وحياتك في معملك النائي أو في الشعر؟!

عمار : يا أحمد ، لا.. فأنا أحياء في قبضة أظفار الواقع

أرأيت الشارع بالأمس؟

هند : اسكت... اسكت يا عمار

أحمد : يا ثرثار!

- مصطفى : إن الإخوة في الجبل ، ينوون الرد على عجل
- عمار : (بضيق) لكنهم محصورون ومحتاجون إلى أسلحة ، وإلى أدوية ، وإلى أطعمة ، وإلى أغطية
- مصطفى : يا عمار ، في صوتك إذعان يائسٌ لكأنك مهزوم!!
- "همهمة سخط من عمار وهد"
- أحمد : دعوا بوحرید يقل
- أمينة : ليقل بوحرید
- مصطفى : بوحرید يقول : القوة تنبع من قلب الإنسان
- عمار : وبعد!
- هند : اسكت أنت ...
- عمار : ماذا يا هند؟
- مصطفى : خطفوا الزعماء؟ إذا فلنخطف منهم أثن ما يخطف
- عمار : أترانا نسرق يا بوحرید؟
- أحمد : (بضيق) أتراك تعود لتتفلسف؟
- أمينة : اسكت يا أحمد دع بوحرید يقل
- مصطفى : بوحرید يقول : لا تترك غيرك يسرق منك شجاعة قلبك..
- عمار : الناس يواجههم في الشارع في الغلواتِ سؤال فاجع :
- ماذا نعمل؟
- سؤال يجثم مثل الهول على طيبه!
- أحمد : ما هذا الهول؟ وما طيبه؟

عمار : "مستمراً" والجيش هنالك في مأزق...

أمينة : "بضيق" ليقبل بوحريد إذا

مصطفى : بوحريد يقول لكم : من عاش بهذا اليأس ، سيمزق

عمار : أنا لم أياس ، لكن قل لي أنت وأنت حكيم... قل

أين الباخرة المشحونة بالأسلحة؟ أما غرقت؟

مصطفى : لا ، لم تفرق ، ليس لدينا نبالها بعد

أمينة : ولماذا تصرخ في ياس؟ هبها غرقت

أحمد : ليقبل بوحريد

مصطفى : بوحريد يقول: أحلك ساعات الظلمة

هي ساعة ما قبل الفجرِ والفجر يجيء على قدر

أحمد : "بفرحة" قل أيضاً من فيض الحكمة

فكلامك حلوٌ والله

مصطفى : بوحريد يقول لكم : سنقاتل حتى بعظام الموتى!

فعدو الله وإن حاصرنا يخشى الزحف ولا يقوى

ولقد أنهكه الوضع الراهن أكثر مما أنهكنا

ثم لعمار

لو كنت رأيت جنودهم في سفح الجبل كأنهم هملّ ملقى

الخوف يذيب ضراواتهم والياس يمزقهم إرباباً!

أما نحن ، ففوق القمة نكشف كل مواقعهم

عمار : وكأننا آلهة عطشى!

أحمد : ليقبل بوحريد

مصطفى : بوحريد يقول : اصنع ما أنت به أدرى  
أسلحة من حلف الأطلنطي تشحن للأعداء

أمينة : "بلهفة" متى؟

مصطفى : اليوم مساءً وقت المغرب

أمينة : (بحسم) فلنمنعها!

أحمد : خمسون قطاراً - فيما أعلم - أو سبعون

مصطفى : يا أحمد، لا! بل أربعة

أمينة : فلنمنعها!

مصطفى : علينا نحن هنا في القصة أن نمنعها

أمينة : لندمرها!

هند : فلننسفها!

أحمد : (وهو يفكر) بل نأسرها

فانغم ما فيها حتى تأتينا المركب بالشحنة

عمار : بل نأسرها؟ وبمن قل لي؟ أحمد يهذي!

مصطفى : (بحسم) فليمسك كل أعصابه!

أم هان الأمر فأصبحنا يتهم الواحد أصحابه؟

أمينة : لم لا تُنسف تلك الشحنة في موضعها؟

هند : فلننسفها في موضعها

مصطفى : مرحى

عمار : مهلا

أحمد : ماذا أيضاً؟

عمار : "بخطورة" ستثور شظايا هائلة وسوف يموت كثيرون

أحمد : لكن الضربة تستأهل

أمينة : فسترفع من روح الشعب

أحمد : وتميت فرنسا بالرعب

عمار : ويموت الناس بلا عدد

أمينة : سنوجه إنذاراً للناس قبيل التفجير

بوقت يكفي لنجاة جميع الناس من الموت

أحمد : إلا الحراس

أمينة : هذا تدييري يا أحمد

مصطفى : ستكون أمينة مسئولة

أمينة : "لعمار" أنا المسئولة عن أمنك

عمار : "بضيق" أنا لا أتحدث عن أمني الشخصي ولكن عن غيري!

لماذا يتهم الإنسان أخاه إذا اختلفا في رأي؟

سيكون حريق كالطوفان يهدد حتى هذا الحي؟

فلنرم الألغام بعيداً

مصطفى : لا بأس بأن نبعد ميلاً إن كان يرمحك هذا الأمر

هند : ميل! قد تنجو أسلحة من شحتهم

عمار : لن ينجو شيء إطلاقاً فلنرسم خطتنا الآن

أمينة (لعمار) : سأزورك بعد المدرسة في معملك السري والآن أقوم لمدرستي

- هند : فليُخَطِر جاسر بالخطئة ليغيرها إن لم ترضه
- أحمد : "لمصطفى" أيقنى جاسر يتكرر باسم آخر يا شيخ!
- مصطفى : فلتصبر! فالصبر سلاح أيضاً في أيدينا
- أحمد : أنعم بالصبر!
- أمينة : (فجأة لمصطفى بوحريد) ما قولك في ضم جميلة؟
- قد كنت أرشحها من قبل وجاسر كان يؤيدني
- مصطفى : لتجرب في يوم آخر فمهمتكم ليست سهلة
- (أحمد يعالج باباً جانبياً على اليسار يفضي إلى سرداب ويخرج منه)
- عمار : إن جميلة في رأيي عضو ممتاز نكبه
- هند : فلتبحث هذا فيما بعد
- "يعود أحمد من السرداب"
- أحمد : السرداب نظيف جداً
- (يخرج مصطفى)
- مصطفى : سيروا من خلفي وليحرسنا الله بعين رعايته!
- (تخرج وراءه أمينة)
- عمار : يا ربي! ثبت قلبي فأنا أشقى من أجل الراحة يا ربي!
- هند : عمار يعود إلى الشعر
- أحمد : "يدفعه" أسرع، أسرع! لا تتفلسف
- (هند تجذب عماراً من يده ويخرجان، ويخلق أحمد باب السرداب ثم يسد الحائط السري)

## المنظر الثاني

(الشارع السابق نفسه بعد مرور ساعات النهار، باب المقهى مفتوح وأمامه الكراسي وموائد جلس إليها بعض رجال.. وهارون يقعد متشاغلاً بقراءة جريدة.. بينما أحمد المصري يحمل شيئاً إلى مصطفى بوحرير في دكانه، ويقعد معه على دكة أمام الدكان المفتوح؛ حيث ترى أبواب الخريف معروضة.. شمس الأصيل تلقي بأشعتها الشاحبة على الشارع الذي تستطيل فيه الظلال.. وأبراج قلعة برباروسة تبدو بوضوح من بعيد؛ حيث تتخذ السماء من ورائها لوناً وردياً يختلط بالزرقة.. والغمام الداكن يزحف على كل شيء مؤذناً بهبوط المساء والجبال تبدو من بعيد.. أمام أحد الجدران.. في الشارع يقف شاب جزائري في ثياب عامل.. يلصق إعلانات كتب عليها بالعربية والفرنسية: "مكافأة مليون فرنك لمن يقبض أو يساعد في القبض على جاسر: قائد الإرهابيين"... الشاب الجزائري يقوم بعمله في حراسة جان، وهو شاويش فرنسي تبدو عليه الطيبة التي يخالطها الضجر... جان يحاول أن يتوود إلى الشاب فيتصمحه به.. وجان هذا هو أبعد الناس عن هيبة المهمة التي يكابدها)



(جان ينظر إلى الإعلان نظرة خاطفة وكأنه قرأه مائة مرة.. وفي الحق، إنه صنع هذا من قبل أكثر من مائة مرة.. ثم يتجه إلى العامل الجزائري، الذي اتخذ اسم "مبروك".. جان يتحدث بتوود ملحوظ، وهو أحياناً يحلم)

- جان : مليون يا مبروك؟؟ ما هذا؟
- مبروك : نعم مليون!
- جان : كم تساوي هذه المليون؟ قل لي
- مبروك : رأس جاسر
- جان : لا!.. بالدولار
- مبروك : أضمت أن تأتي بجاسر فأخذت تحلم أن تهاجر  
كم تغامر في شيكاغو؟
- جان : (مازحاً) لا يا حمار!
- مبروك : ماذا تقول؟
- جان : (متلطفاً) أنا أضاحك صاحبي
- مبروك : ومتى يصاحب حارس منكم ضحيته السجينة  
(مبروك يلصق الإعلانات هنا وهناك ببطء شديد وعيناه على  
جان)
- جان (بضيق) : أولاً<sup>(1)</sup>! الضحايا والسجون ورنه الحقد الحزينه!
- لنعد لما كنا نقول أنسيت ما كنا نقول؟
- أنسيت أنني قلت يوماً: إنني أنوي الرحيل؟
- لأعيش أيامي التي بقيت ، هنالك في فرنسا
- بين المراعي والحقول على مهاد طفولتي
- هناك في الوادي الخصب
- وادي اللوار حيث الطلاقة والأمان
- وكل ما حولي أليف لي حبيب
- والأرض مترعة بألوان الثمار! فأنا هنا في وحدتي

(1) تعبير فرنسي يدل على التعجب.

مـبروك : (يقاطعه) هذا عجيب يا جان ، كلكم هنا ينوي الرحيل  
فتحلمون ، وتحلمون

لكنكم لا ترحلون بل ، تُطردون  
أو تُدفنون هنا بلا شرف يعزي فاقدكم  
(مبروك يتجه إلى دكان مصطفى)

جان : أما أنا ، فلسوف أرحل لا محالة سوف أرحل

فأنا غريب ها هنا ، مهما أقم فأنا غريب!  
ويكاد يفتك بي هنا السأم العقيم  
وينغض رونق عمري المنبوذ في ندم عظيم

مـبروك : عجباً.. أتعرف ما الندم؟؟

جان : لم لا؟؟ أتحسب أن قلبي قد من صخر أصم؟

قد كنت سجناً فهزنتني البشاعة في السجون  
ونقلت إلى السجن الكبير

انظر هناك.. ألا تراه؟؟ ألا ترى أبراجه الصماء؟؟

مـبروك : تعني برباروسة

جان : (مستمراً) ورجوتهم أن ينقلوني فاستجابوا للرجاء

مـبروك : لكنهم لن يتركوك نفر من هذا الجحيم

لن يتركوك تعود من أرض الجزائر سالمًا..

(يحاول لصق الإعلان على دكان يوحريد)

مصطفى : مبروك ، لا تلتصق على الدكان إعلاناً! كفى!

"هارون على المقهى يترك الصحيفة ويتأمل"

أحمد : ماذا؟ إعلان جديد؟ مليون.. ماذا؟؟

هذا بعملة مصر ألف جنيه

هارون : حقاً؟؟

مصطفى : في كل يوم يرفعون الجائزه

هارون : لن يوقعوه فإنه بطل عظيمُ أنا أعرفه!

(هارون يعاود قراءة جريدة، بينما يقول مصطفى لأحمد)

مصطفى : لكلامه هذا رنين خادع مثل النقود الزائفة

أحمد : هذا الغلام بحير يا مصطفى! كلماته.. كلمات أبطال كبار، وكأنه أيضاً بطل!

لكنه على الرغم من هذا يثير من الغبار

على سلوك القادة الأبرار.. مالا يحتملُ

وكانه متطرف عنهم

(مبروك مازال يعمل في لصق الإعلانات، وجان يحرسه ثم يحتفيان في أحد الدروب الجانبية)

مصطفى : أنا ليس تخدعني حماسة ذلك الصنف المزيفُ

لِمَ يطعن الزعماء ثم يعيد نفس كلامهم؟

فيم إذا هذا التطرف؟؟

أحمد : قد كان معتقلاً، وفرّ!

مصطفى : أعرفت إنساناً سواه نجا سليماً هكذا من معتقل؟!

أيفر من معتقلاتهم أحد ويبقى هكذا وسط المدينة في سكينه؟

أحمد : كم عذبه!

مصطفى : لكنهم لم يتبعوه !! بل إنهم تركوه يسرح بيننا  
ويشير شبهات على زعمائنا باسم التطرف  
فكر لتفهم يا أخي سر التطرف!

أحمد : أنا لست أفهم يا أخي.. أنا لست أعرف  
(يمر رجلان.. يتوقف أحدهما لقراءة الإعلان فيشده الثاني)

أحمد سيراً بغير تلكؤ وتماحك وتباطؤ ماذا تراك ستستفيد؟  
أحد الرجلين : (وهو يشد الإعلان ويخرج مسرعاً وراء زميله)

أما أنا فلسوف يتفني الورق  
(يظهر جان)

جان : ماذا بحق الله يجري هاهنا في غفلة مني؟؟ أنا لا أغفلُ  
مبروك ألصق غيره. ألصق على الورق الممزق!  
ألصق هنا وهناك.. ألصق؟

أحمد والله ، أنت مغفل.  
المصري : (يعود مبروك ليصلح الإعلان الممزق ووراءه جان ، وعندما  
يفرغ من مهمته خلال الحديث التالي يعود إلى أحد الدروب  
ووراء جان دائماً)

هارون : (يتفض وهو يلوح بالجريدة)

أتصدقون؟ هذا كلام لا يصدق؟

ماذا؟ هل اعترف بن بيللا والصحاب؟

أتراهم من أجل هذا أوقعوا ألفين منا؟!

أحمد : (بانفعال) لم يقبضوا إلا على ألف فحسب.. يا هباب

هارون : هذا كلام في الجريدة!

مصطفى : لا تروج بيننا هذا الكلام

أحمد : إنا لتعرف كيف يكتب

مصطفى : وبمن يروج أو يردد من أجل تشويه البطولة، والمثل؟

هارون : عجباً، وما يعنيك أنت؟

مصطفى : أنا؟ تأدب وتحترم شيخوختي

أحمد : هارون، قم من دربنا لِمَ أنت منحط هنا طول النهار ومن

المصري: صيحة ربنا؟

قم يا أخي من قهوتي اذهب إلى درب اليهود!

هارون : يا أحمد المصري . مايك؟ هل أسأت إليك؟

أحمد المصري : اقعد في أدب لا تحشر في شغل غيرك.

هارون : يا أحمد المصري، أمرك!

أحمد : اذهب فقبل رأس عمك مصطفى بوحريد... قم

هارون : لكنه بدأ الشتيمة يا أخي؟

أحمد : أنا قلت قم صالحه يا ابن الموسويه

(يجره من يده إلى دكان مصطفى بينما يقبل أولاد فيقفون أمام

الإعلان)

وليد : مليون بالأمس كانت نصف مليون

الثاني : غداً تغدو ثلاثه!

(يظهر مبروك وجان)

الثالث : أنا لست أعرف كيف أقرأ؟

الثاني : ما شكله المليون هذا؟ كيف يكتب؟

الثالث : قل كيف يحب؟!

(يخرجون ضاحكين والمغرب يزحف)

أحمد : (لمبروك)

لدي شاي مفتخر

أتريد شيئاً أم تفضل قهوة مصرية مضبوطة؟ يا سيدي مبروك

مبروك : (ضاحكاً) ! شكراً ألف شكر!

(رجل يقوم من على المقهى ، ويخرج من أحد الدروب ومعه  
رجلان)

الرجال : مسيت بالخيرات يا مبروك

مبروك : صينم بخير

جان : (لنفسه) وأنا؟ ألا أحد يوجه لي كلاماً ، أو سلاماً؟؟

أنا يا صحابي لست صاحب ذلك الإعلان

لو أن صفقة ذلك الصحفي من تكساس تمت ما قعدت هنا  
ليوم واحد

مبروك : من ذلك الصحفي من تكساس؟

جان : من؟ أنسيتهُ هو صاحب اللاكي سترايك أتذوقها؟

مبروك : أنا لا أدخن

(جان يشعل سيجارة وينفث دخانها)

- جان : هو من يريد شراء بيتي ، هل ذكرته !
- مـبروك : إني حكيت لك الحكاية مرتين
- مـبروك : وبكم إذا ستبيعه يا جان كل شقاء عمرك ؟
- جان : وبكم تظن ؟
- مـبروك : بألف دولار ؟
- جان : لا ! بل بخمسة آلاف دولار.. ونصف !
- مـبروك : لكن بيتك ليس قصراً
- جان : عجباً.. أيدھشك الثمن ؟
- لكنني أنا فيه أضخم من أخي لا كوست في أبهاء قصره !
- أم يا ترى كم يرتضي الإنسان من ثمن لكل شقاء عمره !
- مـبروك : الموت يا جان العجوز
- (يحاول أن يخرج من جيبه منشوراً يلصقه على الإعلان ، فيراه جان)
- جان : مبروك ، هذا لا يجوز !
- احذر ، فقد حاولت هذا في الصباح ، فلم توفّق
- ولئن رجعت فأنت تدفعني إلى مالا أريد !!
- عدني بأنك لن تحاول
- أنا لست يا مبروك بالرجل المغفل
- أنا لا يغافلني الذين يغفلون الآخرين حتى النساء..
- مـبروك : (كالمداعب) لكن نساءكم يغفلن الرجال الأذكاء
- جان : أنا ؟ لا ! فلي امرأة أطلع سرها وأنا بعيد

حسنا.. لكن لا تحيدُ

وتكاد يا مبروك يا ولدي لشدة هيبتي

تقعى أمام ملابسي في غيبيتي

مـبروك : (ضاحكًا) أتحيها؟

جـان : عاشرتها عشرين عامًا يا بني؟

ماذا ستحمل في الجوانح بعد عمر مثل هذا؟!

هـارون : (لنفسه) هارون، من مبروك هذا؟ من يكون؟ وكيف جاء؟

إني لأذكر أن منظره أليف لي!

(بصوت مرتفع وهو يضع الصحيفة التي كان يقرأ فيها)

أسمعت يا بو حريد أخبار الوباء؟!

مصطفى : سمعتها.. لكنها كذب وتزييف

هـارون : وكيف؟

أحمد : أجل، هراء

هـارون : أنا واثق منها

مصطفى : وكيف وثقت أنت؟ أنت جئت من الوباء؟!

أحمد : هارون قم من قهوتي، أو كف عن نشر الإشاعة..

هـارون : ليست إشاعات، ولكني سمعت من الإذاعة

وقرأت في صحف المساء

- أحمد : (بضيق)  
هذا كلام فارغ من أصله وأنا أقول لك الحكاية كلها
- مصطفى : يا أحمد المصري ، لا تأبه به !
- هارون : فلنسأل الشاويش
- أحمد : سل أنت ، رح له ! أما أنا فملاظفي لا تستحل ملافظه  
(أذان المغرب ، ومصطفى وأحمد يتبادلان نظرات ذات مغزى خاص)
- مصطفى : هذا أذان المغرب الله أكبر  
(هارون يتنهض ويتجه إلى الشاويش)
- هارون : يا سيدي الشاويش ، ما خبر الوباء ؟  
(يمر ولدان.. أحدهما يقرأ الإعلان فيشده ليمزقه ، جان يهيب متفضاً)
- جان : لا يا ولد! لا يا ولد!
- الولد : (وهو يجري) فلترحلوا عن الجزائر..
- زميله : ما عاش من سلم جاسر
- جان : إني لأعجب في بلادكم الغربية للصغار!
- مبروك : (لجان) لكنهم ليسوا صغاراً بعد.. إنهم كبار!
- جان : (صارخاً للولد الآخر) يا عفريت.. اذهب!
- مبروك : (مسترسلاً) أیظل طفلاً من تعذب!

مصطفى : (مهمبماً)

يا رب ، فلترجع أمانة سالة

إنني ليزعجني السكون! متى يدوي الانفجارُ

متى؟ لقد راح النهارُ؟

هارون : يا مصطفى ، أنا لست أفهم يا أخي لم أنت مبهمُ؟

فيم تهمهم دائماً.. فيم تهمهم؟

لم لا تقوم لكي تصلي هل سهوت عن الصلاة؟

مصطفى : ماذا يهملك أنت.. هل تحصي عليّ تحركاتي

يا ابن المرابية الجميله؟

أحمد : بل نحن نعجب منك يا هارون ، كيف تعول أهلك؟

وأراك طول اليوم منحطاً على المقهى بثقلك؟

من أين تأكل يا أخي؟ من عندهم؟ أم يا ترى من إرث أمك؟

(صوت انفجار مفاجئ يدوي من بعيد)

جان : صوت انفجار

هارون : صوت انفجار ذخيره

ميروك : من أين هذا الانفجار؟

(يقترّب من مصطفى وأحمد المصري بينما يصعد جان متأملاً)

هارون : (هامساً مهموماً) أتراهمُ نسفوا القطار بما عليه من الذخائر؟

جان : (لنفسه) هو جاسر لا ريب ، ذئب القصبه الشرس المغامر؟

مـبروك : (من مكانه) ماذا ترى يا جان؟

جان : قد نسفوا المحطة! هل عميت؟ أما ترى سحب الدخان؟!

هارون : أتظنهم نسفوا المحطة كلها؟

أحمد : (لمصطفى بفرح) نسفت قطارات الذخيرة؟ فليعيش عمار!

جان : لم كل هذا؟! هل لهاتيك المآسي من ختام؟؟

هم هكذا في كل يوم عندما يأتي المساء

الأرض تغمرها الدماء! هل ذلك ما يرضي المسيح؟؟

(بأسف)

تلك الذخائر

كانت ستجد جيشنا المحصور في جبل الـ... نسيت اسم الجبل!

مـبروك : (مقاطعاً باستخفاف) في أحد الجبال! ماذا يهم اسم الجبل؟

جان : من ذا يدبر كل هذا، بعد أن قبضوا على زعمائهم؟

مـبروك : (مشيراً إلى اسم جاسر في الإعلان) هذا البطل

جان : لو قلت هذا يا غبي أمام غيري ما سلمت!

أنا لا أحب جميع هذا يا إلهي!

مـبروك : (لنفسه) لا تحبه؟

(يدخل عمار من أحد الدروب شاحباً مضطرباً.. ويهوي بسرعة

بجوار مصطفى بوحريده.. مبروك يلتفت إليه مستطلعاً)

عمار : الصفقة الكبرى انتهت، والكل في خير

مـبروك : (لنفسه) عظيم

- مصطفى : (لعمار) لم أنت مضطرب إذا؟
- هارون : (يقبل عليه) عمار ، ما بك؟ هل جرحت؟
- مصطفى : وما به؟
- هارون : أو لم تلاحظ وجهه وشحوبه؟
- أحمد : فيم انشغالك يا أخي بشحوبه؟
- أما برود لم أشاهد مثله أبداً ولم أسمع بشيء مثله!
- هارون : (يتجه إلى عمار بحنان) قل يا أخي عمار ما بك؟ ما أصابك؟
- أحمد : (لهارون الذي يحاول أن يتحسس عمار) هارون! ارجع يا ولد
- هارون : مهلاً! أتحنني صبياً في محلك؟
- أحمد : (يدفع هارون) قلت ابتعد
- (يعانق عمار) يا مرحباً بك يا أخي عمار.. أهلاً!
- عمار : مرحباً بك ألدك ماء؟
- أحمد : ماء ورد! (يذهب إلى المقهى مسرعاً ليعود بكوب ماء)
- جان : (ينظر إلى عمار) ما باله هذا الفتى؟
- مبروك : ما باله؟
- جان : لكأن كل دمائه غاضت! تأمل كيف يشحب لونه!
- مبروك : لم لا؟! أليس الفقر يستل الدماء من العروق؟!؟
- جان : مبروك ، لا تشغل بأفكار كتلك
- وافرغ إلى العمل الذي يعطيك خبزك
- (جان يتمشى إلى أحد الدروب ، وهو يحسب أن مبروك وراءه)

- مصطفى : (لعمار بضيق) قم  
(مبروك يتجه إلى عمار ويتظاهر بتثبيت الإعلانات على الحائط)
- مبروك : (لعمار) ماذا دهاك؟!
- عمار : أنا لم أخض من قبل معركة الطريق! كانت مخاطرة فظيعة
- مبروك : بل قل مغامرة بديعة
- عمار : أنا لا أراك! ولست أسمع أي صوت ما سوى رجع الزلازل!  
أنا لا أرى إلا الدخان الآن والأشلاء..
- مصطفى : (مقاطعاً برفق) حبك يا بني!  
اذهب تصاحبك السلامة! ولتتم  
فستريح إذا هجعت إلى فراشك.. قم ونم
- عمار : أنا أستريح!! وكيف؟!
- مصطفى : (يربّت على كتفه ويدفعه برفق)
- مبروك : أزجي إليك تهائني باسم الجميع والآن قم
- عمار : السلام عليكم.. (يتصرف)
- مصطفى : (لنفسه وهو يراه منصرفاً) هذا البريء العبقري!!
- مبروك : (بسرعة) سلم أمينة ما لديك جميعه
- مصطفى : لكنما النشرات قد حزمت لها في ربطين كبيرتين
- مبروك : وإذا، فسلمها الأمانة دفعتين
- مصطفى : قد كان أولى أن تكون أمينة رجلاً وعمار فتاه!  
أستغفر الله العظيم!

- مـبروك : هو ما يزال الشاعر القديس يرهقه تراب المعركة  
مصطفى : هذا صحيح.. فالمعارك شائكة
- (يقبل جان فيرى مبروك وهو يهمس لبوحريد)
- جان : (يصرخ) مبروك.. يا مبروك.. ويحك أين أنت؟  
مـبروك : أنا ذا...
- جان : (بلهجة أمرّة مفاجئة)  
تعال هنا.. وقل لي أين كنت!  
أو لست تعرف أن هذا لا يجوز!!  
أترى يشوقك أن تكون نزيل قلعة برباروسة؟
- مـبروك : بالطبع لا! لا يا عجوز!
- جان : (في غضب مفاجئ لهيبته) أنا لا أخاطب هكذا  
مـبروك : ماذا دهاك؟
- جان : هب ضابطاً ما جاء ثم رآك مرثمياً هناك؟  
مـبروك : قل أنت يا شاويش
- جان : سوف يعاقب الشاويش نفسه!  
مـبروك : أتخاف؟
- جان : يا مبروك، كلمني بأسلوب مهذب! أنسيت من أنا؟!  
مـبروك : كدت أنسى!
- لما رأيتك أيها الشاويش تُفضي لي بضعفك منذ حين!  
جان : ضعفي؟! تأدب!.. أنا لا أخاطب هكذا

مبروك : (مستمراً) لكن شيئاً ما سيبقى بيننا شيء فظيع ليس ينسى  
فأنا من البلد الشهيد! وأنت؟ رب من فرنسا!

جان : (مهتراً من كلام مبروك) لا تهذب بعد... وعد إلى العمل الذي  
يعطيك قوتك

مبروك : تعني الفتات..

جان : الصق هنا.. (مشيراً إلى المقهى)

أحمد : ابعد عن المقهى فقد شوهته بالملصقات

(جان يقعد على كرسي من المقهى ثم ينادي بتؤدة)

جان : مبروك، اسمع يا بني! ألا ترى أن الفضاء يشف في هذا  
السكون؟

الليل يهبط والظلام! لكنه ليس السلام!

اسمع لأصوات المساء للصمت وسوسة رهيبة!!

لم لا تكلمني.. تكلم يا بني..

مبروك إلا أنت! لا تصمت! فصمتك لا يطاق!

مبروك : بل أنت تأمرني فأفعل ما تريد بلا مزيد فما تريد؟

جان : مبروك... لست أنا عدوك!

يا أيها المجنون، لست أنا عدوك!

لم لا تكلمني كما يتكلم الإنسان للإنسان!

مبروك : بل ليس ما بيني وبينك يا عجوز هو الكلام

جان : (برقة وحزن) أهو الخصام!

مبروك : مهما يكن يا جان من أمر؛ فليس هو السلام!

جان : حقاً، فليس هو السلام! ياليتته كان السلام!

مـبروك : (لجان من بعيد) ماذا ترى أذناك تلتقطان من هذا السكون؟  
إلا صليل القيد من خطواتنا؟

إلا صدى الأناث من أعماقنا؟

جان : مبروك، لا تنظر إليّ بكل هذا الكبرياء

أنا لست إلا حارسك!

وغداً سأحرس عاملاً ما في مكان ما سواك!

مبروك، لست أنا الذي يغتالكم في أرضكم!

مـبروك : أو لم تكن من قبل سجائناً تعذب من تشاء؟

أو لم يكن هذا العذاب وسيلتك؟

لتنال ترقية وتظفر بالرضا ممن يعيب كفاءتك؟

جان : إنني لأقسم بالمسيح، بكل آلام المسيح

أنا لم أعذبهم هنا ولي الخيار

مـبروك : أنا لست أفهم بعد هذا الاضطراب

أيعذبونك أنت أيضاً لو رفضت أو امتعت؟

جان : دعني أقل لك : إنني وسط الأنين قد اكتشفت حقيقتي ، أجل

اكتشفت حقيقتي وسط الأنين

حيث الرجال الصامدون.. يُعذبون، فيرفضون هم يرفضون

الشر والمأساة والألم المبرح، والقضاء هم يرفضون بلا تردد!

وهناك حيث يعربد الجاني على جسد الضحية

وتحمّل الإنسان للآلام فوق تصور العقل المحدود

حيث الدماء تسيل من بدن المذبذب في إباء

وبلا توجع أو تضرع

وهناك في برج الفظائع والفجعة والمآسي البربرية

في ذلك السجن الذي قد كان قلعة برياروسه حامى المسيح حيث

المسيح يعود يصلب من جديد كل يوم ألف مرة

وهناك في هذا السعير.. أنا اكتشفت حقيقتي وخديعتي!!

مـبروك : (باهتمام) ماذا اكتشفت هناك في هذا السعير؟

جان : أنى السجن أنى أسير مستباح، مهدر، وبلا ضمير

أنى حقير مستذل لا بطل أنى أعيش بلا إرادته!

مـبروك : من أجل ذلك أنت جندي تدلله القيادة؟

جان : "مستمراً" وهناك كم ساءلت نفسي وسط أنفاس الضحايا

وعيونهم ترنو كأن بها شواظاً من دماء:

هل ذاك ما يرضى السماء؟ هل ذاك ما يرضى المسيح؟

وإذا الجواب هناك مسطور على تلك الوجوه

في صمتها ذاك الكرية

في رفضها القاسي ونظرتها المحجرة الجسور، كحطام بركان يثور

وكأنما هي لعنة تنصب فوق رؤوسنا وقلوبنا

نحن الذين تكاد تغرقنا الخطايا كلنا

(منهاراً)

أواه إن الحاجة استولت عليّ ودمرت روحي فصرت

بلا ضمير!

مـبروك : وإذا أعدتَ غداً إلى تلك الوظيفة.. كيف تصنع؟  
هب أنهم منحوك ترقية لترجع....

جـان : (يقاطعه بحزن عظيم)

أعرفت معنى أن تجوع صغيرة لك  
حين لا ذكرى لديك ولا طعام ولا أمل؟  
أعرفت هذا اليأس يوماً؟ هل عرفته؟  
ألديك أطفال صغار وامرأه

ومرارة السن التي تتجاوز الخمسين في عمر يضيع  
بلا ضمان أو أمان وبلا ابتسام أو دموع؟

مـبروك : لو أنهم منحوك ترقية لترجع ، ما ملكت سوى الرجوع!

ولعدت تصنع كل أنواع البشاعة يا رجل!  
ولبعثت كل مقدساتك وقتها باسم الضمان أو الأمان!  
وظللت تصرخ بعدها: أنا ضائع وبلا ضمير!  
أنا الذليل.. أنا الحقير!

جـان : لا لا! كفى! أنا قلت لا! لا أستطيع

مـبروك : الحاجة امتلكت قلوب الناس تجتثُ الفضائل كلها من جذرها

جـان : الحاجة العمياء والقلق المبرح والمطامع والدنس!

مع كل ذلك ، فالفضيلة ما تزال حقيقة لم تنطمس!  
مع كل ذلك ، ليس حتماً أن يخون المرء خير مشاعره  
ليعيش منبوذاً

تطارده خديعة حاضره

يقتات من خبز الندم

لا يا صديقي.. لم تزل في هذه الدنيا قيم

(يخرج من أحد الدروب ووراءه مبروك.. وكان قد دخل أثناء  
كلامه رجل يضيء الفوانيس)

(الرجل الذي يضيء الفوانيس يتأمل الإعلان ويفكر.. وهو  
ينظر فيمن حوله)

أحمد : (يهمس للرجل)

يا عم رح.. ماذا تدبر؟

رح إنهم لا يعرضون سوى تقود زائفات.. لا تفكر!

(الرجل يضيء فانوس الشارع ويخرج في خجل، بينما تقبل أمينة  
من صدر المسرح وعليها العباة الوطنية، ثم تتجه إلى دكان  
مصطفى بوحريد فيسرع هارون الذي كان يتجول هنا وهناك  
ليتحرش بها)

هارون : أهلاً أمينة!

أمينة : أنا - يا معاذ الله - لم أعر بمثلك في المدينة

هارون : (بلا مبالاة وبالخاح)

لِمَ تلبسين عباة؟ من أين جئت بها؟! أرحت بهذه للمدرسة؟

أمينة : رح يا سخي

هارون : (يضحك بثقل) ها.. ها.. وأين إذا جميله!

أحمد : يا ابن الثقله!

هارون : (غاضباً) أنا يا أخي، عندي لها شيء يقال

أحمد : (يجذبه من قفاه ويشده ناحية القهوة)

لتقله لي أنا.. قل كلامك للرجال

هارون : (وقد بوغت بحركة أحمد أمام الفتاة يقول متلعثمًا في احتجاج)  
ما.. ما..

أحمد : أنا لا أحب المأمة؟

إني لأقسم بالطلاق، لئن رجعت لثلها فلسوف تضرب بالنعال  
حتى تقول أنا امرأه؟

مصطفى : (لأمانة) هو ذا الحرير لكن تعالي بعد حين فلدي ثوب آخر  
(يعطيها ربطة كبيرة فتخفيها تحت عباءتها الوطنية وتخرج مسرعة  
من أحد الدروب)

هارون : هذا الفتى مبروك من هو؟

أحمد : فرخ جان!

هارون : من أين جاء؟ وكيف جاء؟

من أي أشقاء الجزائر من أي داهية وقع؟

أحمد : قل من جهنم يا لكع!

من طور سيناء، من الأعراف، من أقصى السماء السابعة!

(ثم ملتفتًا إلى مصطفى كمن يستنجد به من إلحاح هارون)

يا مصطفى، أرايت إنسانًا لحوحًا مثل هذا طول عمرك؟

هارون : أو لم يثر هذا الفتى مبروك فيكم أي شك؟

أحمد : لو شك قلبك لاسترحنا من شكوكك للأبد؟

- مصطفى : (من مكانه) ماذا يثير شكوك كلب الصيد؟  
(متطلعاً إلى مدخل القصة، وصوت أقدام عسكرية تقترب)
- أحمد : شش... ديبب أقدام العساكر  
(تتد يد من أحد الدروب فتقذف بمنشورات تملأ الأرض)  
(يدخل ضابطان من الصدر أحدهما فرنسي من المظليين واسمه بيير والآخر ألماني من اللفياف الأجنبي واسمه فريتز...)
- بيير : (بخفة وهو يشير إلى إعلان المكافأة بإغراء)  
أترون؟ مليون لرأس واحدة!
- فريتز : (هامساً) كم ذا تساوي رأس قائدنا إذا؟
- بيير : ثمن الرصاصة يا فريتز أم كم تظن؟  
ثمن الرصاصة ليس غير!
- فريتز : (يلتقط منشوراً ويقرأه)
- الملازم : يا سيدي المايجور بيير!
- بيير : عد أنت.. اذهب بالجنود
- فريتز : أقرأت هذا؟  
(يعطيه المنشور)
- بيير : (يقرأ المنشور) يا أيها الشعب الأمين اضرب غداً  
فليضرب التجار والعمال والطلاب منذ غد
- فريتز : (يعطيه منشوراً آخر) اقرأه أيضاً يا بيير

بــــــــــــبير : (يقراً) فلترحلوا عن الجزائر ما عاش من سلم جاسر!

(يرميه قائلاً بخفة) مهما يكن فسيضعفون

سيقاومون إلى مدى ، ويسلمون

فريتــــــــــــز : أتظن هذا؟

بــــــــــــبير : إنه بلد فقير يلحق الدم من جراحه!

وأمام مليون كهذا لا اتحاد ولا فضائل

فريتــــــــــــز : لكنه بلد رهيب في كفاحه!

(شيئاً فشيئاً يدخل من الدروب الجانبية رجال جزائريون

بملابسهم الوطنية ويتشرون)

فريتــــــــــــز : (مأخوذاً) اسمع... لماذا لا نعود؟

بــــــــــــبير : أنعود؟ كيف؟!

فريتــــــــــــز : أتظنهم سيسلمونك جاريه؟! أو رأس قائدهم هدية!

بــــــــــــبير : يا أيها الألمان ، أنتم هكذا : متحجرون!

فريتــــــــــــز : أنا لست أفهم ، كيف جئت بنا إلى هذا المكان!

أنا كيف جئت؟

بــــــــــــبير : سأظل أبحث عن غريمي هاهنا فإذا فشلت

فأنا سأرجع دون ريب ما بصيد ما ، بمال أو بأنثى باهرة

بمتاع ليل كامل!

فريتــــــــــــز : (بمخبط) تلك الليلي الداعرة ستكون فاحشة الثمن؛

فلقد تكلفنا الحياة بأسرها ثمناً لها!

(يمشي بيير بين الرجال)

بــــــــــــبير : انظر إلى أبطالك الأبرار عجف كالعصى!  
(يمسك بواحد) قل أنت، قل يا عبقرى  
ألديك أنثى أو حثيث! قل يا غبي  
(الرجل لا يجيب)

بــــــــــــبير : (متجهماً إلى مصطفى بوحريد الجالس أمام دكانه). هيه! أنت!  
قف!

مصطفى : (يقف) قل، لا تخف ماذا تريد؟

بــــــــــــبير : (مستخفاً) أنا أخافك؟!

مصطفى : الخوف يحرس كل إنسان هنا حتى الشجاع!

بــــــــــــبير : قل يا رجل

مصطفى : ماذا تريد من الرجل

(بيير يتأمل الحرير المعلق على دكانه)

بــــــــــــبير : هذا حرير رائع.. فبكم تبيع المتر منه؟

مصطفى : هو لا يباع

بــــــــــــبير : (ساخراً) مولاي يا ملك الحرير!

مصطفى : يا سيدي.. أنا لاملك أو أميرٌ وإنما عبد فقيرٌ

بــــــــــــبير : (مغيراً لهجته) قل لي أتطمع في مزيد من ذهب؟

مصطفى : وبم سينفعني الذهب؟ أبيضىء قبوري؟ هل يخفف من ذنوبي؟

هل...

بــــــــــــبير : "متحدياً" قل : أين جاسر؟

في أي هاتيك الجحور السود مخبأ جاسر؟

مصطفى : (بهدهوء)

لو كان سهلاً أن يُنال فتى كجاسر بالسؤال العابر  
يا سيدي الماجور ما رصدت مكافأة لرأسه!

بـــــــــير : إنني لأعجب بالذكي وأنحني لجلال بأسه!

مصطفى : لا ينحني الإنسان للإنسان!!

بـــــــــير : (بصوت مرتفع) هذا الشيخ معقول وطيب

(يهمس له) لم لا تطاوعني لتكبّ؟

ألديك..؟ (يشير إليه بيديه إشارة تدل على جسم امرأة)

مصطفى : ماذا؟ هكذا؟!

(يقلد إشارته فيضحك الجزائريون الذين يملأون المسرح الآن  
بشبابهم الوطنية)

بـــــــــير : (متحرّجاً)

أو لآ... وكيف؟ ألسن تفهم!

(يعيد الإشارة)

أنا لا أريد سوى فتاة مسلمة؟

مصطفى : ليم؟... للزواج؟ فذا محرم

بـــــــــير : بل للصدّاقة.. أو لتعمل خادمه

إنني ليعجبني النساء المسلمات!

مصطفى : ومتى حصلت على فتاة من هنا حتى اغتصاباً؟

أذهب إلى الشانزليزيه تجدّ النساء على الرصيف مكومات!

(ضجّة استحسان وضحك)

- فريتـز : أسمعـتَ هذا يا بيير؟
- بيير : (محنقاً منقضاً على مصطفى) قل ما اسمك؟
- مصطفى : (ببساطة) اسمي أنا؟! أنا عبد ربي..
- بيير : أرني بطاقتك
- مصطفى : (يفتش عنها) البطاقة؟! هاكها..
- (يناوله بطاقته) خذها، ولكن لا تضعها
- بيير : هل أنت أبله؟
- مصطفى : لا.. لست أبله لكنما أنا تاجر، بي حرص تاجر وأنا أعمال ضابطاً من بين حامية الجزائر
- (فريتز يقلب القماش)
- فريتـز : المتر من هذا بكم؟
- (بيير يفحص البطاقة، ومصطفى عيناه على بيير)
- مصطفى : (لا يرد)
- فريتـز : يا أيها الشيخ، التفت
- مصطفى : أنا لا أبيع الآن
- فريتـز : كيف؟! سأشتره بما أردتُ
- مصطفى : أنا لم أرد شيئاً سوى ألا أبيع، فما تريدُ الآن أنت؟!
- هارون : لكنما الإضراب في الغد فلتبعه الآن
- مصطفى : لا
- بيير : هل أنت مضرب؟

مصطفى : أفرغت من فحص البطاقة؟ هاتها  
"ياخذها"

بيير : هل أنت مضرب؟

مصطفى : يا سيدي ، أنا بالصراحة لا أبيع لضباط أبداً

فريتز : وكيف؟

مصطفى : لأنهم لا يدفعون

فريتز : لا ! لا تخفُ إني سأدفع فاطمثن

فبكم تبيع المتر؟ قل ، واخصم لنا نصف الثمن

هارون : يا مصطفى ، لم يبدأ الإضراب

أحمد : (يمسك هارون) هس ! اخرس يا نجس!

(يلطم هارون)

هارون : (لأحمد) أتتهينُ خلقة ربنا

أحمد : (هازئاً) لا والنبى ادخلُ علينا كلنا!

بيير : (لقريتز) لم قلت إنك سوف تدفع يا غبي؟

فريتز : (يقطب القماش) هذا بديع الذوق!

بيير : لو شقراء تلبسه!

فريتز : سأأخذه لسيمون

بيير : (متعجباً) سيمون؟!

أظننها تهواك ! اصح ! فإن راقصة كسيمون عصبية

فريتز : ولمن ترى من محظياتك تشتري يادون جوان من السعيدة

- بــــــــــــــــير : هذا لصاحبة جديدة سمراء فاتنة شبيهة  
والسُّحْرُ أُسْمَرُ لكنها...
- فريتــــــــــــز : طبعاً... عصية إلا عليك  
(يتصرفان شيئاً فشيئاً إلى الحديث ، بينما مصطفى يغلق الدكان)
- بــــــــــــــــير : حتى عليه
- فريتــــــــــــز : أتكون أرمل واحد من فرقتك؟
- بــــــــــــــــير : هي بعد لیت أرمله  
لكنها امرأة معقدة تربت في كنيسة
- فريتــــــــــــز : ومن الغريسه؟
- بــــــــــــــــير : هي زوجة الشاويش.. ما اسمه؟.. ذلك الشاويش جان؟
- فريتــــــــــــز : يا سيدي ، اترك زوجة الرجل الفقير لحالها! لا تغرها..!  
فالتوب من هذا يساوي ضعف راتب زوجها
- بــــــــــــــــير : سيكون أول ما أقدم من هدايا!
- فريتــــــــــــز : مسكينة هي!
- بــــــــــــــــير : لا يليق بها سوى هذا الحرير!  
وفراشها أولى به من ذلك الشاويش ماجور خطير
- مصطفى : (ببساطة) أغلقت دكاني
- بــــــــــــــــير : (لمصطفى) يا أيها الشيخ المخرف ، هل جنت؟ ماذا صنعت؟
- مصطفى : (ببساطة) أغلقت دكاني
- فريتــــــــــــر : وكيف؟
- مصطفى : لأنني رجل مجرب

- فريتـز : افتح
- مصطفى : عجباً؟ أأفتح له لنيهب؟
- بيير : (بغطرسة) فلتفتح الدكان
- مصطفى : (بثبات) كلا!
- بيير : (ثائراً) افتح وإلا ...
- مصطفى : هل ذلك إنذار؟
- بيير : نعم
- مصطفى : اسرق إذا شئت المحل..
- فريتـز : لا يا بيير.. كفى!
- (يفتح بيير الدكان بالقوة، ويختطف بعض قطع الثياب المعلقة)
- مصطفى : وبعد؟
- بيير : (يشهر مسدسه) إذا تحرك منكم أحد قتل
- فريتـز : بيير! في هذا الكفاية! فلننصرف
- بيير : هيا بنا
- مصطفى : (ساخراً) أو هكذا؟ فلننصرف!
- بيير : بونسوار.. السلام عليكم..
- أسعدت مساء أنت يا شيخ العرب!
- مصطفى : (معتزلاً طريقهما في نحد)
- فلتدعنا نمن القماش أو اتركاه
- بيير : أتريد إحداث الثغب؟

(الناس يهتمون وبعضهم يصيح لا.. لا! فيدخل جان من أحد  
الدروب الجانبية على الضجة المرتفعة)

جان : يا قوم، ما هذا الضجيج فيم اجتمعتم كلكم؟

(يتقدم من بيير) ما كل هاتيك الثياب؟

أوه يا سيدي، أعد الثياب...

بيير : عجباً بأية جرأة يا أيها الشاويش تصنع مثل هذا؟

جنني غداً في مكثي بجناح ضباط المظلات

جان : غداً؟

بيير : (لفريتز) لم يبق إلا زوجها أيضاً؟! أرفع رأسه؟

(ثم لجان) لو كنت تعرف أين يذهب ذلك الثوب الجميل لما

اعترضت!

جان : ولمن يكون؟... لمن يكون سوى لإحدى الضائعات! مهما يكن

فأعده...

(تدخل أمينة بملابسها الوطنية ووراءها جميلة بثيابها المدرسية)

هارون : أهلاً أمينة، يا مرحباً. أهلاً جميله!

بيير : (متبهاً وهو يلحظها) ماذا؟ فتاه

فريتز : بل اثنتان!

بيير : أو لا لا لا! أرايت هذا الحظ كله؟

(متقدماً نحو الفتاتين)

أقبلتما بالضبط في الوقت المناسب بعد ما

كنا نيسنا من وجود المسلمات

- مصطفى : (للبنين مقاطعاً) تقدما.. سيرا إلى بيتكما
- بـبـبـب : (لجميلة) لم تخفين وراءها؟ أنا لست عذرتاً يخيفك!
- أمينة : ماذا تريد؟
- بـبـبـب : (لأمينة وهو يشد على كتف فريتز)
- أنا لا أريدك أنت.. خذها من نصيبك
- (متقدماً إلى جميلة مغزلاً)
- وتقدمي يا هذه السمراء سوف أكون صاحبك العزيز
- لِمَ تخشين وراء كتبك كل هاتيك الكنوز؟ السحر أسمر!
- جميلة : (بذعر) ماذا تريد؟ لتبتعد
- أمينة : (صارخة وهي تدفعه هو وفريتز)
- فلتفح هذا الطريق لكي نمر معاً
- (تفتح أمها باب الشرفة وتقف فيها ووراءها ابنتها الصغير)
- الأم : (في جزع)
- بنتي أمينة؟
- أمينة : لا تجزعي.. قد جاء قطاع الطريق
- لكنهم لن يقطعوا أبداً طريق حياتنا
- جميلة : (مستغيثة) يا خالتي.. زحف الجراد!
- أحمد : ظهر الفساد!
- أم أمينة : يا للرجال.. ألا يخلص منكم بنتي أحد!
- مصطفى : لا تصرخي ستعود سالمة إليك

ولا تجيئي هاهنا وسط الأجانب

أحمد : إيه.. قل العقارب

أمينة : (من الشرفة) أين المسدس يا جميلة.. هل أتيت به معك!

فريتز : (وحده) وأنا كذلك كان لعبتي المسدس في الطفولة!

جميلة : (لفريتز) يا سيدي! الله يستركم، دعونا

أحمد : فلتتركا البنتين

مصطفى : يا أحمد، اسمع! اسمعوا "ليبير" أنا ذاك بوحريد يقول

الرجال : ماذا يقول؟ ليقبل لنا بوحريد..

مصطفى : بوحريد يقول:

الظالم الباغي تدور به الدوائر

ولسوف نجلي الظالمين عن الجزائر

(ضجة استحسان)

بيير : (لجان) يا أيها الجاويش، خذ هذا إلى البوليس متهمًا بقتلي

جان : هل قتلت!

فريتز : نفذ أوامره؟ أنفهم يا غبي!

بيير : هوذا يجرضهم علي!

جان : أنا منذ عشر دقائق في راحتي

بيير : في راحتك؟

جان : (مستمرًا) وأنا كذلك لست جنديا لديكم في الليف الأجنبي أو

في المظليين

بيير : (حنقاً) تيس!

جان : لا! ليس من أدب التعامل أن توجه لي شتمه

فريتز : هل أنت جندي؟ أتعرف أن رفضك...

جان : (يقاطعه باستخفاف) هه؟!

بيير : جريمة!

جان : إني لأعرف ما النظام العسكري من ثلث قرن يا بنى

من مثل عمرك أو يزيد

بيير : سترى غداً ماذا يصيبك

جان : مهما يكن، فغد إجازة

مصطفى : بل ما يصيبك في حياتك هذه إلا نصيبك

بيير : سترى

جان : أجل سترى ومن يعيش الحياة ير الكثير

لكن أعد ثوب الحرير

بيير : بغل حقير!

فريتز : هيا بيير

بيير : (لأمانة وجميلة) وتفضلاً معنا

(يتحرك بيير.. وهو يمد يده إلى أمانة وجميلة ويكاد يحيطها بذراعه عنوة، بينما الرجال يقفون دون الفتاتين في ثورة، وفجأة يظهر مبروك في صدر المسرح، ومعه مدفع رشاش يقتحم به ويقفز إلى حيث يقفان)

مـبروك : بل لن تبارح موضعك ستموت فيه ارفع يديك  
وأنت أيضًا يا فريتز ، ارفع يديك!

بـير : (يضطرب وتسقط الثياب من بين يديه ومن يدي فريتز)  
من أنت؟!

فريتـز : من؟! من أين جئت!

مـبروك : من السماء!

جـان : مبروك! ماذا؟! هل جئت؟

من أين هذا المدفع الرشاش؟! كيف أتيت به؟

بـير : (منهارًا) من أنت؟! من؟

مـبروك : أنا مصيرك...!

بـير : (في انهيار) لا يا إلهي! أنت جاسر!

هو ذاك ذئب الكاسبا الشرس المغامر!

(همهمة بين الرجال)

الـرجال : قد جاء جاسر

(جان يطلق صفارته مستنجدًا)

بـير : يا سيدي الشاويش ، أطلق مرة أخرى صفيرك عاليًا

مـبروك : قف أيها الشاويش جان.. لتقف هنا

(جان ينضم إلى الضابطين الواقفين)

مـبروك : (لجان) ارفع يديك

(يرفع جان يديه كالضابطين)

جان : مبروك، إنك طائش؟!

فريتز : دعه.. سيدفع رأسه ثمنا للعبته الحقيرة

مبروك : رأسي أنا؟ رأس تساوي اليوم مليوناً.. وها هو بينكم!

أسرع بيير فإنه أدنى إليك من الفتاة

أسرع فريتز ألا تراه؟

اقطعه يا جان المعذب أنت تحلم بالغنى!

جان : مبروك! لا! كيف انتحلت اسماً كهذا؟ إنه عمل خطير..

لا! لست جاسراً! لست جاسراً أنت مجنون كبير!

(صوت جنود قادمين من الخارج)

صوت : من هاهنا ارتفع الصغير بالاستغاثة سيدي

صوت آخر : بل من هنا يا سيدي الكولونيل

"الرجال يستعدون ويخرج بعضهم خناجر ومُدَى تفتح بطريقة أوتوماتيكية فتلمع نصالها.. وبعضهم يخرج بنادق ومسدسات قديمة يستديرون جميعاً ناحية الصوت.. ومبروك الذي اتضح الآن أنه هو جاسر يستدير أيضاً بحذر.. وإذ ذاك يشرع بيير مسدسه بسرعة فتلمحه أمينة وتنقض عليه فيقع المسدس على الأرض وقدم أمينة فوقه"

أمينة : (صارخة)

عيتاً نحاول! لن تناولوا رأسه أبداً

الأم : (تظهر من الباب وهي تصرخ)

أمينة!

مصطفى : (بجزم) لا تصرخي

(ثم لأمنية)

عودي إلى البيت! اصعدي! عودي لبيتك يا جميله

(الأم تعود بأمنية وتخرج جميلة مسرعة)

(يدخل عزام وهو ضابط شرطة جزائري ووراءه جنود الشرطة)

عزام : ما كل هذا؟ هل تقوم هنا القيامة؟ أم عساكم تلعبون؟

بيير : كولونيل عزام الصديق؟ تحيتي!

أو لا...!! هبطت من السماء لنجدتي!

عزام : ماذا؟ بيير؟ فريتز؟ ما أغباكما! لم ترفعان يديكما؟

هل تسألان الله شيئاً؟

بيير : عزام ، أنجدنا

عزام : ماذا أتى بكما هنا في الليل في أمثال هاتيك الجحور؟

فريتز : (مستعظفاً) عزام أنقذنا بريك! عاد جاسر!

عزام : (للجميع بحسم) ألقوا السلاح جميعكم

ألقوه وامضوا من هنا!

أحمد : وهما؟؟ فليلقيا قبل السلاح

عزام : سلم سلاحك يا فريتز ، وأنت أيضاً يا بيير

بيير : أنا؟

عزام : (همساً) سأعيده لك بعد حين سلمه ذراً للرماد

كيلا تكون الآن فتنة

- بــــبير : (يشير إلى مسدسه الملقى على الأرض) هو ذاك ملقى!  
(الكل يلقي سلاحه.. ويبدأون في الانصراف)
- عزام ، شاركني مكافأة الشقي فأنا الذي استدرجته
- عزام : إن كان جاسر بينهم حقاً.. فإنك عبقرى
- بــــبير : هو ذاك جاسر
- جان : إني لأقسم أنه مبروك
- عزام : هل أنت تضمن أنه مبروك؟
- جان : إني لأقسم بالمسيح
- عزام : "هامساً لبير" دعني أرتب كل شيء واطمئن  
ولتذهباً ، فهم جميعاً هاهنا متحفزون  
ستكون مجزرة نبادُ بها جميعاً يا بير  
إننا قليلٌ هاهنا وهم كثير
- إني أنا أدري بهاتيك الجحور  
قد يسحق البطل الفرنسي الموقر هاهنا مثل الذبابة  
وتلطح الأوحال تيجان المهابة!
- اذهب ودع لي كل شيء واطمئن والآن عودا في سلام  
وسلتقي في حان سيمون العزيزة بعد حين
- فريتــــز : في حان سيمون العزيزة!  
(ببير يمد يده ليأخذ الثوب وهو ينصرف)
- جان : يا سيدي ، دع ذلك الثوب الذي خلق المشاكل كلها

يا مصطفى بوحريد، خذه..

(بيادر هو فيأخذه ويناولهُ لمصطفى)

عزام : (لجنوده) سيروا وراء الضابطين

(جان يتهايم الآن للخروج ، بيير وفريتز يقفان في مدخل المسرح)

بيير : (لعزام) شكراً

(ثم يستدير مهدداً الموجودين)

إني سأهدم هذه الكاسبا عليكم ذات يوم

إني سأهدمها عليكم في غد أو بعد غد!

فلتدفعوا ثمن التمرد!

(يخرج جان ووراءهما الجنود)

عزام : والآن أقبل أنت يا...

جان : يا سيدي ، أياكون هذا جاسر إني لأقسم أنه مبروك!

عزام : أنت على صواب هو ذلك المخبول مبروك

جان : أجل.. أجننت يا مبروك؟.. ويحك!! سوف تسجن!

(ثم لنفسه) لو أن هذا كان جاسر لقتلته عن طيب خاطر

عزام : (لبعض جزائريين مازالوا واقفين) هيا اذهبوا

(يخرجون مسرعين من الدروب الجانبية)

عزام : (لأحمد ومصطفى) ولتغلما الدكان والمقهى.. هيا

(أحمد يفلق عليه المقهى ومصطفى يفلق دكانه هو الآخر وجان

يتلصقا)

جان : أشفقُ على مبروك.. فهو فتى غرير أحمق!

عزام : لا تحش شيئاً، إنني أنا بالضحية أرفق!

جان : هو ليس جاسر! إنني خالطته يومين

عزام : أعرف

جان : (لنفسه وهو ينصرف)

ما جور بيير الغر يحب أنني رجل مغفل!

(يخلو المسرح تمامًا من الناس إلا من عزام ويوحريد وجاسر،  
والحديث يدور في شبه همس في مقدمة المسرح)

عزام : ستحاصر القصة

جاسر : متى؟

عزام : الآن... بعد العاشرة قد يبحثون عن السلاح هنا

جاسر : (لمصطفى في شبه أمر) فلتنقلوه إلى المخايئ

مصطفى : إن المخايئ عامرة!

جاسر : فلتنقلوه إذا إلى سرداب أحمد

أحمد : فليكن

عزام : دع مصطفى يوحريد يشغل بالسلاح واذهب قبل

أنت ثوبك

سأقود جاسر لاجتماع في قيادة جبهة التحرير يبدأ بعد ساعة

مصطفى : أياكون أول ما يناقش فيه نسف الكوميساريا؟

جاسر : حقاً.. فإننا إن ضررنا مركز البوليس..

عزام : (لجاسر مقاطعاً) ستكون أنت القائد المسئول في نصف الكوميساريا

مصطفى : نساعدك أمينة

جاسر : طبعاً (ثم لمصطفى) وأنت تعال عند الفجر من بعد الصلاة حتى تبلغها بخطتنا التي سنعدها في الاجتماع (جان يظهر في الصدر)

عزام : (لمصطفى) سأكون عند الكافتيريا في انتظارك من أذان الفجر!

جان : (لنفسه) ماذا يدور هنا وراء ظهورنا؟!

(جان يتقدم فيشعرون به ، وإذ ذاك يمسك عزام بجاسر من ذراعه ويقول بلهجة خاصة)

عزام : والآن يا مبروك

(يضغط على اسم مبروك)

جان : (لنفسه) هو ذا إذا! هو ليس جاسر!

أنا لست بالرجل المغفل!

(ثم يخرج)

عزام : عفواً! وهل فيكم مغفل؟!

"ستار"

